الحدث التاريخي بين النص وثقافة مؤرخ والوجه الآخر

أ.د. عمار محمد يونس

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء

الحدث التاريخي بين النص وثقافة مؤرخ والوجه الآخر

أ.د. عمار محمد يونس

الخلاصة :

التاريخ بوصفه مجموعة نصوص مدونة عبر زمان ومكان متباينين، هو عبارة عن المسافة الزمنية الممتدة بين وقوع الحدث وبين زمن تدوينه، فكلما امتدت المسافة بين زمن وقوع الحدث وبين زمن تدوينه، كلما وجدت الثقافات مساحتها الكافية للدخول مما يسفر عن تغيير صورة الحدث بما يتلاءم مع ثقافة الناقل الشفاهي والمؤرخ المدون لذلك الحدث. والمسافة الزمنية بين زمن وقوع الحدث وزمن تدوينه امتدت لاكثر من قرن في مدوناتنا التاريخية العربية، فحفظت أحداثاً وتناقلتها شفاهياً وأغفلت أحداثاً أخرى، كما أنها احتفظت بعلاقتها الطردية بين الامتداد الزماني وبين الكم الداخل من الناقل للاخبار والاحداث.

إن علاقة الحدث وتأصيله في الواقع علاقة تكاد تكون وهمية، لأن الحدث المدون لا يكن ان يكون غير إشارات ودلائل في نصوص حفظتها الكتب، أما الواقع فهو ما موجود فعلاً شاخص واضح جلي كالآثار والنقوش مما يؤصله كواقع لا كمدونة تناقلتها ثقافة ناقل شفاهي وسطرتها رؤى وقناعات مؤرخ.

(conclusion)

History, as a collection of texts written across different times and places, is an extended temporal distance between the of an event and a time.Write it down The longer the occurrence distance between the time the event occurred and the timeWrite it down Cultures found enough space to enterlt travels About changing the image of the event to suit the the historian who recorded culture of the oral transmitter and .that event

The time distance between the time the event occurred and the time it was recorded in our history extended for more than a century, so events were preserved and transmitted.Orallylt ined its direct relationship omitted other events, and it mainta between the temporal extension and the quantity entering the .transmitter of news and events

the relationship of the event and its rooting in reality is

an almost an illusory relationship, because the recorded event c only be signs and evidence in texts preserved in books, while reality is what does not actually exist and is clearly evident.Like monuments And the inscriptionsRoot it As a reality, not as a ons blog transmitted by an oral culture and written by the visi .and convictions of a historian

ثقافة النص التاريخي :

النص التاريخي في شكله النهائي عبارة عن تفاعل بين ثقافة ناقل قبل تدوينه وثقافة مؤرخ قام بتدوينه، والحدث التاريخي في أصله كواقع حقيقي ما هو إلا تفاعل بين أنسان وزمان ومكان[١]، وبهذا يكون الناتج هو مزيج بين حديث وقع في الماضي وثقافات أسهمت في نقل الحدث قبل تدوينه وحدث دون وفق ثقافة مؤرخ، أي تاريخ واقعي ممزوج بثقافة وخيال مؤرخ[٢].

والمقصود بثقافة ناقل وثقافة مؤرخ هي كما فسرها أحد الباحثين بقوله إن الإنسان مزيج من ثقافة سابقة له وثقافة اكتسبها التفاعل مع بيئته سواء بالتعلم أو بالتجربة، لذا فهو منتج من ثقافة سابقة ومنتج لثقافة مكتسبة[٣]، وهذا ما يدعونا إلى قبول فكرة الفجوة الفاصلة بين الحدث وعصر تدوينه، وهي المسافة الممتدة بين وقوع الحدث وبين زمن تدوينه[٤]، أي أن النص المدون هو محاولة إحياء حدث وفق ثقافة مؤرخ وبالتالي فهو منتج جديد يحمل ثقافتين ثقافة الناقل الشفاهي وثقافة المؤرخ المدون للحدث.

ومما تقدم يكون التاريخ عبارة عن مجموعة من الأحداث التي تحققت وفق ثقافتين بقصد مواجهة الماضي ومعرفة أحواله ودخائله أولاً، وأظهاره باجمل صورة ثانياً، لذا فهو مجموعة من النصوص المدونة التي عمدت الثقافتين المشار لهما في أعلاه في أخراجها بقصد أو بدون قصد عمدت حذف بعض الاعتبارات الدنيئة وغير المشرفة لتجعل من التاريخ مادة تستحق القراءة[٥].

الحدث التاريخي :

إن حدث اغتيال أبي سلمة الخلال، والذي ورد في المصادر وتناولته وكأنه أمر لا بد منه، قد دون بشكل يفصح عن ثقافة سلطة بمداد مؤرخ، ومن المؤسف أن معظم تلك

المدونات التاريخية قد رسمت الحدث بشكل أربك الموضوع التاريخي وغير الصورة بما يلائم مبتغيات السلطة ومرادها، ويرى أحد الباحثين[٦] أن الدوافع السلطوية وهي الأخطر قد كتبت التاريخ في زمن سلطة السيف كذلك هناك دوافع نقلية تم نقل الكثير من الأفكار بين المرخين اعتماداً منهم على الآخرين.

وبما أن للتاريخ بصمات في عقول محبيه، وقيمه في التوجيه نحو الأفضل وذلك بتقديم وجهة نظر مدركة ادراكاً ونقداً للحدث التاريخي ما لم تغير من قيمة الأشياء ووافقت الحقائق لما حدث[٧]، لذا فإن اعادة تفسير الحدث وفق منهج البحث العلمي وهو ما لا نهاية له، فسؤال من بعد سؤال يردفعه سؤال وبشكل مفتوح، هو ما يمكن من خلاله تحقيق الوصول إلى أقرب رؤيا في تفسير ذلك الحدث، وفق اعتماد بعض إشارات العلوم المساعدة في منهج البحث التاريخي كفلسفة التاريخ وغيرها من العلوم الأخرى، وهذا حسب اعتقادي ما يثير اهتمامنا في تحري الدقة والموضوعية بعيداً عن أثر الثقافة التي أرنا اليها مسبقاً والتي أسهمت في التحريف بقصد أو بدونه بغية تهذيب النصوص التي حدث دونته أقلام المؤرخين؟ وكم من حدث تلاقفته الأجيال كما هو فأمسى بعضه عرفاً وبعضه طقسا؟ فسكنت تلك النصوص بالأرث وارتكزت في العقول فصار اقتحامها أمر صعب مستصعب، خاصة إذا ما تحولت إلى ثقافة عامة، عندها سيكونك ل رأي مخالف لها يعد خرقاً منشوه الوهم! [٨].

ورد ان أبا سلمة سلمة الخلال أرسل ثلاثة كتب مع رجل من مواليه يدعى محمد بن عبد الرحمن إلى ثلاثة شخصيات علوية كان لها دور بارز في تلك المرحلة وهم الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) وعبد الله المحض بن الحسن المثنى وعمر الأشرف بن زين العابدين يدعوهم للشخوص اليه يصرف الدعوة اليهم ويأخذ لهم البيع من أهل خراسان[٩].

وتذكر الروايات[١٠] أنه أوصاه بالبدء بالإمام جعفر الصادق (ع) وان يخفي الكتابين الآخرين فإن قبل ابطل البقية وان لم يقبل ذهب إلى المحض فإن قبل فيبطل كتاب عمر وإن لم يقبل فاذهب والق عمر. وتذكر الروايات ان الامام جعفر الصادق (ع) قد أمر بسراج فأحرق الكتاب[١١]، وأن المحض ابتهج بالكتاب وقبله[١٢] وذهب في اليوم الثاني ودار بينهما حديث حفظته نصوص التاريخ. وما يهمنا هو امكانية بيان سبب مراسلة أبو سلمة الخلال للعلويين.

اختلفت الروايات في تفسير سبب مراسلة العلويين فالمقدسي[١٣] رأى أنه أراد أن ينقل الخلافة إلى العلويين بقوله "ان الناس بايعوا إبراهيم وقد مات ولعله يحدث بعده أمر وأراد أن يصرف الأمر إلى ولد علي". ورأى ابن الطقطقي[١٤] ان ميله للعلويين كان رد فعل من مسارات الدعوة العباسية التي انحرفت عن شعاراتها "ولما سبر أبو سلمة أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم إلى بني علي". وعلى ما يبدو أن هذه الروايات هي التي دفعت ببعض المؤرخين المحدثين[١٥] في الميل إلى ما جادت به تلك الروايات! وهناك من حاول التوفيق بينهما والعدول عن اللجوء اليها قطعاً بل داعبها حياءاً لعدم توفر ما يناقضها وما يدعم احتمالية عدم خيانة أبي سلمة الخلال كما جاء في الأخبار[١٦].

وهناك من تصدى لها بدعوى تفسير صراع الجناحين السياسي والعسكري في الدولة العباسية[١٧] واظنه قد أصاب جزءاً كبيراً من العلة.

ولكن ماذا لو اعتمدنا بعض الإشارات؟ مثلا :

- ان الشدة كحل ترى به ما لا تراه بالنعمة[١٨].
- أمر الملك قائم على الأسراف في سفك الدماء مع من يعملون على خلاف رأيه وأمره[١٩].
- وقد يلزم العقاب بالأعدام في جريمة العفو فيها أليق[٢٠].
- فعل الشر من قلة الحيلة[٢١].

- كن في الحيلة والحذر وسوء الظن معظماً لأمر عدوك فوق قدره، من غير أن يظهر ذلك منك، أو يصدك عن أحكام شيء من أمرك(٢٢).
- لا بد أن يكون هذا السلطان شديد البأس جداً، ولا يكفي أن يكون كذلك في نفسه فقط بل لا بد وان يكون عند الناس بهذه الصفة، ...، فلذلك لا بد وان يكون قاسياً وتقل رحمته(٢٣).
- لا يصلح للأمير أن يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته أو انقضى عهدها ولن يفقد الأمير الحيل المشروعة لنقض العهود، المهم أن يتظاهر بغير ما يفعل وتذاع عنه الفضائل دون أن يتصف بها والناس سذج يخدعهم المظهر ولا يعرفون المخبر(٢٤).

ومما تقدم من أشارات هل يمكننا إدراك أن نهاية أبي سلمة كانت وشيكة إلا أنها جاءت مبكرة؟ وكان لا بد من حجة يتعلق بها أرباب السلطة. فقد دأبت السلطة آنذاك أن تنهي ركائزها التي باتت تشكل خطراً عليها، ليتسنى لها التفرد بالرياسة وبناء الدولة دون أدنى تأثير من الذين أسهموا فعلياً في بنائها. لقد وردت في أحدى الروايات(٢٥) أن أبا مسلم الخرلاساني راسل الأمام جعفر الصادق (ع) قبل أبي سلمة الخلال باحثا عن إمام بديل بعد موت إبراهيم الامام، وكان رد الامام (ع) هو "ما انت من رجالي ولا الزمان زماني" ورغم ذلك ما أحتج المنصور على أبي مسلم بها عند محاجاته اياه وتدبير أمر اغتياله! (٢٦).

الوجه الآخر للحدث :

أمام كل هذه الشكوك ووفقاً لما تقدم من اشارات منا لممكن أن نرى للحدث وجه آخر، وتحديداً في دافع مراسلة وزير آل محمد أبو سلمة الخلال للعلويين، فعلى ما يبدو أنه كان يبحث عن رجل تنطبق عليه مواصفات الأمام ويكفي أن نستدل بأنه راسل رجال من العلويين ولم يكتف بواحد منهم، بل أنه كان جاداً في البحث عن امام، وما يؤكد قبول هذا الاحتمال هو مراسلة أبي مسلم للعلويين، فلو كان اجتهاد أبو سلمة مغايراً لسياسة الدعوة التي طالما حملت شعار "الدعوة للرضا من آل محمد"، لأعترض الاتباع وبات أمره مرفوضاً

ولخرج من دائرة السلطة علنا بل لكفروه ولتسابقت الاتباع لأنهاء أمره، كذلك ما أشيع بعد اغتياله من أن الخروج هي التي نفذت عملية قتله[٢٧].

كان على رجال الدولة الجديدة التخلص منه لأسباب منها : تصفية العناصر التي ارتكزت عليها الدعوة والثورة والدولة، وكذلك الخوف من استمرر ايديولوجيا الحق العلوي في السلطة تحت شعار "الدعوة للرضا من آل محمد" بوجود رجل كأبي سلمة الخلال، ومن غير الممكن أن يتم ذلك الا بالركون إلى رجل كابي مسلم الخراساني الذي لبى الطلب دون أدنى تردد في سبيل الخلاص من وزير آل محمد.

الهوامش :

[١] يونس، عمار محمد، مقال في تحليل النص التاريخي، دار الصادق، ط١، بابل، ٢٠٢٣م.

[٢] يونس، مقال في تحليل النص، ص١٨.

[٣] يونس، مقال في تحليل النص، ص١٩.

[٤] يونس، مقال في تحليل النص، ص١٩.

[٥] يونس، عمار محمد، حوادث تاريخية في ضوء فلسفة التاريخية، الدار المنهجية، ط١، عمان، ٢٠٢٣م.

[٦] شبر، صلاح جواد، الأساطير المؤسسة، دار المحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠١٦م، ص٢٤.

[٧] يونس، حوادث تاريخية، ص٩ .

[٨] يونس، مقال في تحليل النص، ص٧١.

[٩] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : أمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٢٨٠.

[١٠] ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي (ت٨٣٨هـ)، عمدة طالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق : محمد حسن الطالقاني، المطبعة الحيدرية، ط٢، النجف، ١٩٦١م، ص١٠٢.

[١١] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٥٤.

(١٢) مجهول، العين والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق ك نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٦٩م، ج٣، ص١٩٧.

(١٣) المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ق ٤ هـ)، البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٦م، ج٦، ص٦٧، الرحيم، عبد الحسين مهدي، العصر العباسي الأول المؤهلات والانجازات، الجامعةا لمفتوحة، ط١، طرابلس، ٢٠٠٢م، ص٦٧.

(١٤) الرحيم، العصر العباسي، ص١٥٣.

(١٥) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٤، فوزي، فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٧م، ص٢٢٧؛ العاني، حسن فاضل زعين، سياسة المنصور الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص٦٩.

(١٦) الرحيم، العصر العباسي، ص٦٦-٦٨.

(١٧) يونس، عمار محمد واليساري، قاسم علي محمد، صراع الجناح السياسي والجناح العسكري في الدولة العباسية حتى عام ٢١٨هـ، الدار المنهجية، عمان، ط١، ٢٠٢٢م، ص٩٩-١٠٥.

(١٨) عباس، أحسان، عهد اردشير، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٦٧م، ص١١١.

(١٩) الخشاب، يحيى ، كتاب تنسر أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٥٤م، ص٣٦.

(٢٠) الخشاب، كتاب تنسر، ص٣٩.

(٢١) عباس، عهد أردشير، ص١٠٦.

(٢٢) الهرثمي، صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق : عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٤م، ص١٩.

(٢٣) ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت٦٨٧هـ)، الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، تحقيق : عبد المنعم محمد عمر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٣، مصر، ١٩٨٧م، ص٢٣٠.

(٢٤) ميكافلي، نيقولا، مطارحات ميكافلي، ترجمة : خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، ط٣، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢٥ وما بعدها.

(٢٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق : محمد فهمي محمد، مكتبة الحسين التجارية، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م، ج١، ص١٥٤.

(٢٦) الرحيم، العصر العباسي، ص١٤٠-١٤٤.

(٢٧) يونس، صراح الجناح السياسي والجناح العسكري، ص١٠٤.

قائمة المصادر والمراجع :

أ- قائمة المصادر :

١- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق : محمد فهمي محمد، مكتبة الحسين التجارية، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣- ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي (ت٨٣٨هـ)، عمدة طالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق : محمد حسن الطالقاني، المطبعة الحيدرية، ط٢، النجف، ١٩٦١م.

٤- مجهول، العين والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق ك نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٦٩م.

٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : أمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ق ٤ هـ)، البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٦م.

٧- ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت٦٨٧هـ)، الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، تحقيق : عبد المنعم محمد عمر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٣، مصر، ١٩٨٧م.

٨- الهرثمي، صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق : عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٤م.

ب-قائمة المراجع :

١- الخشاب، يحيى ، كتاب تنسر أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٥٤م.

٢- الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م.

٣- الرحيم، عبد الحسين مهدي، العصر العباسي الأول المؤهلات والانجازات، الجامعة المفتوحة، ط١، طرابلس، ٢٠٠٢م.

٤- شبر، صلاح جواد، الأساطير المؤسسة، دار المحجة البيضاء، ط١، بيروت، ٢٠١٦م.

٥- العاني، حسن فاضل زعين، سياسة المنصور الداخلية والخارجية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
٦- عباس، أحسان، عهد اردشير، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٦٧م.
٧- فوزي، فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٧م.
٨- ميكافلي، نيقولا، مطارحات ميكافلي، ترجمة : خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، ط٣، بيروت، ١٩٨٢م.
٩- يونس، عمار محمد، حوادث تاريخية في ضوء فلسفة التاريخية، الدار المنهجية، ط١، عمان، ٢٠٢٣م.
١٠- يونس، عمار محمد واليساري، قاسم علي محمد، صراع الجناح السياسي والجناح العسكري في الدولة العباسية حتى عام ٢١٨هـ، الدار المنهجية، عمان، ط١، ٢٠٢٢م.
١١- يونس، عمار محمد، مقال في تحليل النص التاريخي، دار الصادق، ط١، بابل، ٢٠٢٣م.